

بل وعن مآكلها التقليدية، وعن علمها، ونشيدها الوطني، وعن انواع النكت التي قد يرويها الدمشقي عن القوم السذج في حمص.

سيثني على السيد جارجي لكتابه هذا كل من عرف سوريا واحبها مثله، وكل من يجد مثله ان شعبها مضياف، وان البقلاوة فيها اشهى مآكل الدنيا.

باتريك سيل

الحدود الشمالية الشرقية من المنطقة القليلة الامطار. وينفتح القسم الثاني من الكتاب على اربعين صفحة مصورة رائعة تبين جمال المدن والريف وتباينها، واورقة المساجد الرطبية، وواحة القوطة الحصينة، او منظرا يفوق الوصف يبرز جمال الضباب في واد مالت عنه الشمس. ويلى هذا خمسون صفحة من المعلومات الدقيقة عن سوريا، عن جغرافيتها وسكانها، عن تاريخها وسياستها، عن تنوع الاديان فيها، عن اقتصادها، عن الزراعة والتجارة،

أرضنا الجديدة

بقلم خليل رامز سر كيس . منشورات الندوة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٢

الكون اذاً، دون الانسان، ارض شبه موات. والانسان، دون معاناة الكون، غريب عن نفسه، بعيد عن موطن الله في الارض.

ولأن الانسان قمة الوجود فلا بد له من هجر الارض القديمة التي عشن فيها الحقد والكره والتفرقة، قصد التطلع الى ارض جديدة قوامها مشاركة الكون في وجوده الاصيل عن طريق العقل والقلب معا. وهي مشاركة في الديمومة لو كفت عن وعي ذاتها لاختل نظام الكون. واذ تحصل رؤية الارض الجديدة لا بد وان نشرك فيها الآخرين لما يتضمنه من حقيقة وجمال.

الارض الجديدة هي هذه الارض في مستوى المعرفة والمحبة. انها ارض الكلمة المتجسدة، الارض التي «لا يشارك فيها الا من يؤتى شموراً في مستوى العقل وعقلاً في مستوى الحب» والتي «سوف تعمها شعوب لم يولد معظمها بعد». واپس لهذه الارض الجديدة حدود لانه ليس للمعرفة عند الانسان حدود. «ليس خير ما يسمو بالمعرفة الى ما وراء الكون هو ان سموها نتيجة حتم للايمان بما وراء الطبيعة؟»

هذا الكتاب حديث رؤية، فيه لقضايا المصير البشري معاناة مفكر اصيل. وعناصر المعاناة اثنتان : عنف لاهوتي عميق الجذور هو من الكيان البشري في الصميم، وضوء عقلي فيه من رصانة العلم اهم مقوماتها. يبدو ان عنصري المعاناة يلتقيان في لحظة غايتها الارض الجديدة في مستوى الصليب. اول ما في الكتاب ان الانسان محور الكون، الكون الواحد، على ما فيه تعدد العوالم. الانسان اذاً واجب وجوده لوعى الحقيقة الكونية والا اصبحت هذه الحقيقة دون قيمة وتمطلت الغاية من خلقها. وثانياً، ان الانسان وجود داخلي، اي وجود لاهوتي، «مخلوق على مثل الاله»، فيه من الاندفاع نحو المعرفة مثل ما في الكون من طاقات مخترنة. ويلتقي الانسان والكون عبر تجربة المعرفة فيكون العلم، وهذا ليس سوى محاولة من الانسان لتسلط على الطبيعة بعد ادراك نواحيها. وعلى قدر ما يندفع الانسان في معاناة الكون يجب ان يقي فيه، قويا، ويتكثف كينوني، حقل (الاهوت)، والا اختل توازن القوى فتضيق رؤية الارض الجديدة.

في الكون على مستوى القداسة. وليست المادة قدرا منحصرا إذا ما اعتبرت موطننا للروح ومشاركة لها. «ليس التطور هو ان تقتزن الروح والمادة بطبيعة الحياة؟»

ويبدو خليل سر كيس هنا وكأنه يعتبر الحياة جوهرها هو غاية ما في الوجود. من هنا الاعتقاد - وعلى سبيل الاستنتاج - ان الانسان قد فجر طاقات الكون وعرض امنه وطمأنينته للخطر. لكنه عاجز عن تفجير الطاقات الروحية فيه. وقد تمضي سنون طويلة قبل ان يتمكن البشر من حفظ حياة بعد اوان زوالها، ان يفجروا حياة من نوع جديد على الارض.

من هنا عنف الدفاع عن الانسان وعن قيم الروح في الانسان. ومن هنا كذلك ايمان المؤلف بان الارض الجديدة هي ارض الانسان الذي يحدث، في عالمه، ثورة يكون من مقوماتها ان تضج خلايا المادة بالمضامين الروحية. يرى الناس آنذاك ان نعمة الخلاص قد اعطيت لهم وان افضل عوالم الله قد تحققت وان رسالتهم الجديدة هي في ان ينفخوا الروح المحيية في عوالم اخرى.

الى هذا المستوى من التجربة الكونية يصل خليل سر كيس، وقد ادخل الى لغة العرب مضمونا جديدا لم تألفه من قبل. وعلى ما في هذا المضمون من عمق وتشعب يبدو المؤلف وكأنه في دياج، يحاول ان تكون مشرقة على قدر اشراف الارض الجديدة. فلفة العقل عنده على طلاوة ولفة الروح على صفاء. ولا يعني هذا سوى ان تجربته قد اختمرت فكان طعم ثمراتها شهيا.

يبقى ان لنا من ارض خليل سر كيس الجديدة عبرة تبقى هكذا ان لم تتحقق الارض الجديدة في لبنان جديد.

جوزف ابو جوده

ان بابل قمة الكبرياء والانانية في الارض. وهي رمز صارخ لطلاق حدث بين الله والكون. اما اقنوم الارض الجديدة فهو الحب الذي، ان دخل الى العالم، كان ماء الحياة ونقطة التقاء السماء والارض في حوار لم يعط سماعه الا لمن كانت المحبة عنده اقوى من الموت.

على هذا يبدو لنا ان المؤلف قد ارتهن قضية المصير البشري في مدهاء البعيد، وقضية الانسان في وجوده الشخصي. وهو اذ يجمع بين هذين الامرين انما يعود الى حقيقة الايمان المسيحي - الايمان الذي هو فعل ايمان - والى حقيقة الانسان في عالم مزقته، ولا تزال، تجربة الفقر والموت. لذلك فهو لا يرى في فعل الايمان سوى العدل والمحبة، وفي عالم اليوم سوى عالم تقوده المعرفة الى الجنون ان ابتعد عن جذوره اللاهوتية.

وما لا شك فيه ان معاناة خليل سر كيس هي معاناة صادقة في مضامينها. غير انها لا تزال من قضايا الانسان الحديث اميل الى عدم الأخذ بجميع ما يختلج في جوائحه. هي معاناة في مستوى القلق المصيري. وما قوله ان كل جهد يؤلف كمال العالم، سوى التعبير الصادق عن امر لا يزال عنده في مستوى التجربة الشاملة.

هنا يتخذ الحب كامل ابعاده على اعتبار ان القلق قد استبد بالانسان لجهة مصيره كإنسان لا لجهة مصيره كفرد او جماعة، وهنا ايضا تبلغ التجربة الكونية اعتمق جذورها.

يضاف الى ذلك ان جزع المؤلف من تسلط الطاقات الكونية محتمل، مرده الى اعتبار الانسان آية الله في الوجود. وجعل الانسان لهذه الحقيقة يعني ان التاريخ اضحى على تقهقر وان البشر قد كفروا برسالة السماء عندما تجسدت فيهم بالفكر. والدواء الصالح هو في وحدة جهود يبذلها الجميع لتحقيق الوجود الامثل. ان اي عمل يقوم به اي انسان، وتكون غايته هذا الوجود الامثل، هو